ابو حَنِيفَةَ الدِّينَوَرِيّ

والجزء الخامس من كتاب النبات

تمهيد : اذا ألقيتَ نظرة على أسماء علماء العرب ، من صُرَحاء ومستعربة ، فأصبتَ فيهم رجلاً دَقَّ بين أدباء اليوم صيتُه ، بمقدار ما جَلَّ على لساننا الضادي فضلُه ، فذلك الرجل إنما هو أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري . لقد كاد هذا العلامة يكون مغموراً في أيامنا هذه ، فلا يعرفه الا القليل من الأدباء ، على حين ان بعض مصنفاته ، وأخص منها كتاب النبات وكتاب الأنواء ، كانت من أوثق الكتب التي اعتمد عليها ونقل منها أصحابُ معجماتنا المشهورة ، وأصحاب كتب المفردات والزراعة ، كابن سيده في المخصص ، وابن منظور في لسان العرب ، والفيروزابادي في القاموس المحيط ، والزبيدي في تاج العروس ، وابن البيطار في مفرداته ، وابن العوّام في الفلاحة الأندلسية وغيرهم كثير .

وقد ذاع صيت هؤلاء المصنفين ، واستفاضت شهرة مصنفاتهم ، لأن كنوزهم الثمينة هذه لم تفقد ، والحمد لله ، بل عُثر عليها وطُبعت وصارت في متناول أيدينا . أما كتب أبي حنيفة الدينوري فقد ضاعت ، ويالالأسف [1] ، فكاد

(١) إلا كتاب الأخبار الطوال ، وإلا الجزء الخامس من كتاب النبات الذي نتكلم عليه . وكتاب الأخبار الطوال ، كتاب في التاريخ ، وهو الوحيد الذي عثر عليه كاملاً ، وطبع في لَيْدن سنة ١٨٨٨ م ؛ ولبث بلا مقدمة وبلا فهارس حتى سنة ١٩١٢ م ، وفيها وضع المستشرق أغناطيوس كراتشقوفسكي فهارسه ، وصدّرها بمقدمة ممتعة بالفرنسية ، وطبعها في ليدن لحقاً للكتاب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ينطمس بضياعها اسم هذا العالم الكبير ، وأمسى لا يُذكر الا عرضاً في الجمل التي نقلها عنه أصحاب كتب اللغة وغيرهم من المؤلفين . وقد خَمَل ذكره خمولاً عجيباً ، حتى ان ثلاثة من الأدباء قالوا لي انهم عندما يقرءون في أحد معجماتنا القديمة تفسيراً لكلمة نباتية ، معزواً الى أبي حنيفة ، فهم يتوهمون أن هذا الاسم إنما هو اسم الإمام أبي حنيفة النعمان ، لا اسم أبي حنيفة الدينوري فتأمل !

وفي أوائل سنة ١٩٤٩ م أوفدت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية بعثة الى إسطنبول ، تبحث في خزانات كتبها عن المخطوطات العربية المهمة ، وتنسخ منها نسخاً بالتصوير الشمسي ، فعثر رئيسها الدكتور الأديب يوسف العش ، في خزانة جامعة إسطنبول ، على نسخة من الجزء الخامس من « كتاب النبات » ، وهو أجل مصنفات أبي حنيفة ، فكان الفرح بهذه اللُّقية عظيماً . وقد رغبتُ الى الإدارة المشار اليها أن تبعث اليَّ بصورة من هذه النسخة فحققتْ مشكورةً تلك الرغبة . وبعد تلاوتها بإمعان كتبتُ فيها وفي أبي حنيفة هذا المقال الموجز .

مولد أبي حنيفة وحياته : هو أحمد بن داود بن وَنَنْدَ ، أبو حنيفة الدِّينَوَرِيّ . ووَنَنْدُ هذه كلمة ايرانية كانت اسماً لجده . ومعناها الكاسب او الرابح ، على ما ذكره بروكلمن في تأريخ آداب اللغة العربية . أما كراتشقوفسكي فقد ذكر في مقدمة فهارس « الأخبار الطوال » لأبي حنيفة ان وَنَند اسم نجم من النجوم ، أو اسم إلٰه يمثل ذلك النجم ، وأنه ذُكر كثيراً في كتب البَرْسِيِّين المقدسة . ويظهر ان الأشخاص كانوا يسمُّون به .

وأخيراً كتب العالم پور داود ، أستاذ اللغات القديمة في جامعة طهران ، بناءً على طلبي ، تحقيقاً ممتعاً لمعنى هذه الكلمة ، ومما جاء فيه أنها كانت تدل على نجم وعلى الإلٰه المختص به ، وأنها وردت مراراً في « الأوستا » مع غيرها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من أسماء النجوم ، وأنها كانت تكتب فيها بالتاء أي «وننت» ، وعندما نُقلت الأوستا الى البهلوية جُعلت التاء فيها دالاً ، وأنها النسر الواقع Vega عند بعض المحققين ، وقلب العقرب Antares عند آخرين ، وانها تطلق اسماً على الأفراد ككثير غيرها من أسماء النجوم ، وان معناها اللغوي القادر والغالب والظافر لا الكاسب ولا الرابح الخ .

وقد رُسم هذا الاسم بالتاء المثناة غلطاً اي «وَتَنَد» في معجم الأدباء لياقوت «طبعة مرجليوث وطبعة مصر للدكتور فريد الرفاعي» . ولكنه جاء صحيحاً بالنون في بغية الوعاة للسيوطي ، وفي خزانة الأدب للبغدادي ، وفي بعض الكتب الحديثة ككتاب بروكلمن الملمع اليه وكمعجم المطبوعات العربية والمعربة لسركيس .

ودِينَوَرُ التي وُلد فيها ونُسب اليها بلدة ايرانية ليست ببعيدة عن حدود العراق ، وفي الموسوعة الاسلامية انها من العراق الفارسي . وقال ياقوت في معجم البلدان انها مدينة من أعمال الجبل قرب قَرْمِيسِيْن (كرمان شاه) ، وذكر أسماء بعض من نُسب اليها من الأدباء والعلماء .

ولم أجد في كتب التراجم ولا في كتب اللغة ذكراً للسنة التي ولد فيها أبو حنيفة . ويظن بروكلمن في الموسوعة الاسلامية انه ولد في السنين العشر الأولى من المائة الثالثة الهجرية . وقال الأستاذ أحمد أمين في ضحى الاسلام (ج ١ ص ٤٠٢) : «ولد بدينور : ولم يُعلم تاريخ ولادته ، وإن كان يُرجح انها في العشرين الأولى من القرن الثالث الهجري» . ولم يذكر العالم الأول الأسباب التي جعلته يظن هذا الظن ، وكذلك العالم الثاني فهو لم يذكر الأسباب التي حملته على هذا الترجيح . وسيظل تأريخ ولادته مجهولاً ما لم نعثر فيه على نص قديم موثوق به . وفقدان هذا النص حمل الزركلي صاحب قاموس الأعلام على جعل تأريخ ولادته مجهولا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد اختلفوا أيضاً في تأريخ وفاته . ولكن معظم الذين ترجموا له في القديم والحديث يرجحون كونه توفي سنة ٢٨٢ هـ قال ياقوت في معجم الأدباء : «مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ومائتين ؛ وجدتُ ذلك على ظهر كتاب النبات من تصنيفه . ووجدتُ في كتاب عتيق : مات احمد بن داود ابو حنيفة الدينوري قبل سنة تسعين ومائتين . ثم وجدت على ظهر النسخة التي بخط ابن المُسَبِّح ، بكتاب النبات ، من تصنيف ابي حنيفة : تُوفي أبوحنيفة احمد بن داود الدينوري ليلة الاثنين لأربعٍ بقين من جمادى الأولى سنة ثمانين ومائتين . ووجدتُ في كتاب الوَفيات لأبي عبد الله محمد بن سُفيانَ ابن هارونَ بن بنت جعفرَ بن محمد الفِرْيابِيّ البغدادي : مات أبو حنيفةَ أحمدُ بن داودَ بنِ وَتَنَد (كذا بالتاء) صاحب كتاب النبات في سنة إحدى وثمانين ومائتين» .

وفي بغية الوعاة لم يجزم السيوطي أيضاً تأريخ وفاته فجعله في جمادى الأولى سنة احدى وثمانين ومائتين ، او اثنتين وثمانين ومائتين ، او سنة تسعين ومائتين .

أما ابن الأثير في الكامل ، والقفطي في إنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة ، وأبو الفداء في تاريخه ، وابن كثير في البداية والنهاية ، والقرشي في الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، والبغدادي في خزانة الأدب فجميعهم أرخوا وفاته في سنة ٢٨٢ هـ . وكذلك أرخ سركيس في معجم المطبوعات والزركلي في قاموس «الأعلام» . وقال بروكلمن في الموسوعة الاسلامية : ان الآراء لم تتفق على تأريخ وفاته ، وقال : لكن يظهر أن السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ٢٨٢ اي الرابع والعشرين من تموز سنة ٨٩٥ م هو تأريخ الوفاة الذي تكاد تجمع الآراء على قبوله . وهذا الرأي هو أيضاً رأي كراتشقوفسكي في المقدمة التي ألمعتُ اليها ، ورأى معظم العلماء الأوربيين في القرن الماضي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأوائل القرن الحاضر الذين جاءوا على ذكر أبي حنيفة ، مثل سلفستر دوساسي Sylvestre de Sacy ولوكلرك Leclerc وغيرهما .

والظاهر أنه قضى شطراً كبيراً من حياته في مدينة دينور ، وانه كان يقوم فيها بأعمال الرصد ، فوق أعماله العلمية اللغوية المختلفة . وله مع معاصره علاّمة الأدب واللغة أبي العباس المبرّد صاحب الكامل قصة طريفة تدل على علو كعبه في اللغة ، كما تدل على انه كان في الدينور عندما زارها المبرد [1] .

وذكر عبد الرحمن أبو الحسين الصوفي العالم الشهير بالفلك والمتوفى سنة ٣٧٦ هـ أنه رأى في دينور البيت الذي لبث ابو حنيفة سنين طوالاً يرصد النجوم على سطحه [2] .

ويستدل بأقوال المؤرخين العرب ، وبالشواهد الكثيرة التي قرأتها في الجزء الخامس من كتاب النبات ، على انه رحل الى البصرة والكوفة حيث تتلمذ على ابن السكيت وأبيه خاصةً ، كما رحل الى أنحاء مختلفة من جزيرة العرب ، حيث كان ينقل أسماء النبات عمن يثق بهم من الأعراب .

ومن الغريب ان كتب التراجم وكتب اللغة وكتب الأدب القديمة لا تذكر عن حياته الا الأقل الذي لا يشفي غليلاً ، على حين أن أصحاب هذه الكتب لا ينكرون فضله الكبير على اللغة . وضياع معظم كتبه أفقدنا ما ربما كان فيها من معلومات في هذه الناحية ، ولذلك لبثنا الى الآن جاهلين لأسرته وحداثته وتعلمه ومشايخه ، ورحلاته الى البلاد العربية ، واتصاله بأعراب القبائل للمدارسة أو للتأليف ، وكيف كانت مجالسه ومناظراته ، وما هي صلاته بأدباء عصره وبالسلطان ، ومن أين كان يرتزق ، ومن هم تلاميذه الخ .

---

(١) انظر خزانة الأدب للبغدادي ج ١ ص ٢٦ من الطبعة القديمة و ج ١ ص ٦١ من طبعة المكتبة السلفية .

(٢) عن كراتشقوفسكي في مقدمة « فارس الأخبار الطوال » ص ٢١ و ٤٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أقوال الأدباء فيه : لا شك أن أبا حنيفة كان من أنبه علماء عصره ، وأوسعهم ثقافة ، وأرسخهم قدماً في لغة العرب وآدابها ، وأكثرهم اطلاعاً على علوم تلك الأيام . فقد جعله ياقوت في معجم الأدباء : « نحوياً لغوياً مهندساً منجماً حاسباً راوية ثقة فيما يرويه ويحكيه » . ومن قبله قال ابن النديم في الفهرست : « كان مفتناً في علوم كثيرة منها النحو واللغة والهندسة والحساب وعلوم الهند ، ثقةً فيما يرويه ومعروفاً بالصدق » . وكرر الأنباري والقفطي والبغدادي مثل هذا القول ؛ وكذلك السيوطي في بُغية الوعاة ، وأضاف انه وَرِع زاهد . ويلاحظ ان جميع القدماء الذين أتوا على ذكره في مصنفاتهم جعلوه ثقةً فيما يرويه أو يمليه . وذكره بعضهم بالصدق والورع والزهد وجلالة القدر ؛ وهي أدلة على بعض أخلاقه .

وفي ترجمة أبي حنيفة في معجم الأدباء كلام نقله ياقوت عن كتاب «تقريظ الجاحظ» لابي حيّان التوحيدي ، يُستدل منه على أن ابا حنيفة كان في نظر أبي حيان أحد ثلاثةٍ « لو اجتمع الثقلان على تقريظهم ومدحهم ونشر فضائلهم ، في أخلاقهم وعلمهم ومصنفاتهم ورسائلهم ، مدى الدنيا ، الى ان يأذن الله بزوالها ، لما بلغوا آخر آخرِ ما يستحقه كل واحد منهم » ؛ وهؤلاء الثلاثة هم الجاحظ وأبو حنيفة الدينوري وأبو زيد احمد بن سهل البَلْخي . ويقول أبو حيان في أبي حنيفة : « انه من نوادر الرجال ؛ جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب ، له في كل فن ساق وقدم ، ورُواء وحكم ؛ وهذا كلامه في الأنواء يدل على حظ وافر من علم النجوم وأسرار الفلك ، فأما كتابه في النبات فكلامه فيه في عُرُوض كلامِ أبْدَى بَدَوِيّ ، وعلى طباع أفصح عربي » .

وذكر ياقوت أيضاً نقلاً عن كتاب « تقريظ الجاحظ » الملمع اليه ان بعض الأصحاب اختلفوا في مجلس أبي سعيد السيرافي في بلاغة الجاحظ وأبي حنيفة ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فحكّموا أحدهم فقال : «أبو حنيفة أكثر ندارةً ، وابو عثمان أكثر حلاوةً ؛ ومعاني أبي عثمان لائطة بالنفس ، سهلة في السَّمْع ، ولفظ أبي حنيفة أعذب وأعرب وأدخل في أساليب العرب » .

ومن المستشرقين الذين أطروا أبا حنيفة كثيراً المستشرق الرومي المشهور كراتشقوفسكي [1] فقد قال ما معناه ان آثار الجاحظ التي عُثر عليها تدل على علو كعبه في الأدب ، وعلى صحة رأي ابي حيان فيه وتحمسه له ، كما أنها تدل أيضاً على وجود اختلاف بين الجاحظ وأبي حنيفة في خصائصها العلمية ، وكذلك بين ابي حنيفة وأساتيذه الأجلاء كابن السكيت وأبيه . فبينما اقتصر هؤلاء على المواضيع اللغوية اتسعت آفاق أبي حنيفة حتى شملت جميع فروع العلوم في أيامه . واذا كان أبو حنيفة قريع الجاحظ في عمق التفكير وسعة المعرفة ، فقد فاقه في دقة تصنيف العلوم ، وفي الابتعاد عن خلط بعض البحوث العلمية ببعض في كتاب واحد ، فجعل لكل موضوع علمي كتاباً ، على ما يتضح لنا من أسماء تصانيفه . ومن العجيب انه على الرغم من خوضه في علوم مختلفة فقد كان مالكاً لزمام مواضيعها ؛ فلا يكتفي بالرواية أو النقل ، بل يأتي بالآراء الشخصية الطريفة ، خلافاً لكثير من الأدباء المعاصرين له ، ولمعظم الذين جاءوا بعد عصره . ومع ان اللغة كانت الغرض الأسامي الذي حداه على تأليف كتاب النبات ، شأنه في ذلك شأن أساتيذه ومعاصريه ، فقد جاء هذا الكتاب فذاً في موضوعاته ، حتى انه فاق كثيراً كتب النبات اليونانية . وموجز القول في أبي حنيفة انه كان : « عالماً موسوعياً بكل ما في هذه الكلمة من معانٍ » وانه حلق فوق أقرانه من علماء العلوم المختلفة .

هذه بعض آراء كراتشقوفسكي في أبي حنيفة ، كتبها بالفرنسية استناداً على ماجاء في كتب التراجم العربية ، وعلى دراسته لكتاب الأخبار الطوال ، وعلى آراء

(١) فهارس كتاب « الأخبار الطوال » انظر ص ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ من المقدمة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بعض المستشرقين المتقدمين [١] . وجميعهم لم يكن لديهم إلا نُتَف من كتاب النبات ، مع الأسماء التي نقلها أصحاب المعجمات العربية عنه . وبعد العثور على الجزء الخامس من الكتاب المذكور وتلاوتي له ، أيقنت أن آراء كراتشقوفسكي فيه وفي صاحبه هي عين الصواب .

وفي الموسوعة الاسلامية مقال للمستشرق بروكلمن ذكر فيه ان أبا حنيفة كان لغوياً موالياً عربياً . وقال ان كتاب النبات له شأن كبير في تأريخ العلم . ثم وصف الكتاب وصفاً موجزاً بناءً على المعلومات التي أمكن استخراجها من المعجمات ، ولا سيما من المخصص ومن مفردات ابن البيطار .

مؤلفات أبي حنيفة : بلغت جملة مؤلفاته المعروفة أسماؤها عشرين كتاباً ؛ وهي التي ثبتت صحة نسبتها اليه . وكلها تقريباً مذكورة في الفهرست وفي معجم الأدباء . وبعضها في إنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة ، وفي الجواهر المضية ، وفي نزهة الألباء ، وفي خزانة الأدب ، وفي كشف الظنون . وهناك اختلاف في تسمية بعضها وفي نسبته الى أبي حنيفة .

وأعظم هذه الكتب شأناً كتاب النبات . وهو يشتمل على ستة أجزاء كبار ، على ما أصبح محققاً بعد العثور على جزئه الخامس . وكان أبو حنيفة يُعرف بصاحب كتاب النبات ، اي انه عندما كان يقال صاحب كتاب النبات فمعناه أبو حنيفة دون غيره . وكل كتب النبات التي صُنفت قبله (ككتاب الأصمعي وكتاب أبي زيد) صغيرة لا تقاس به . وهو نسيج وحده من حيث

(١) يظهر ان أهم بحث في كتاب النبات كتبه سلبربرغ Silberberg بالألمانية في مجلة العلوم الآشورية وهي Zeitschrift für Assyriologie - XXIV,1910, 225 - 265 وكذلك XXV,1911, 39 - 88 ولم أطلع على هذا البحث الذي أطراه كراتشقوفسكي . ولا شك انه جاء نتيجة لجهد كبير ، لأن جميع أجزاء الكتاب كانت يومئذ مفقودة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

احتواؤه على اسماء النبات وأسماء أجزائه وما يتصل به ، وعلى تحلية عدد من النباتات ، وعلى جملة كبيرة من الأشعار المتعلقة بالنبات ؛ وكل ذلك بأفصح لغة وأصحها . ولم يتصل بنا أنه ألف مثله من قبل ولا من بعد . وسنذكر فيما يلي من بحثنا هذا معلومات موجزة فيه ، مستقاة من الجزء الخامس الذي عُثر عليه في إسطنبول .

ومن مؤلفات أبي حنيفة كتاب الأنواء ، وهو في علم الفلك والألفاظ المتصلة به . ويعد أجل كتبه بعد كتاب النبات ، وقد أطراه أبو حيان التوحيدي بقوله في أبي حنيفة : « وهذا كلامه في الأنواء يدل على حظ وافر من علم النجوم وأسرار الفلك » ، على ماسبق ذكره . ومدح البيروني هذا الكتاب ونقل عنه . أما ابن سيده في المخصص فقد نقل عدداً كبيراً من ألفاظه . وهو من أوثق الكتب في الأسماء الفلكية . ومن المؤسف فقده .

ومن تصانيفه في هذا الباب كتاب القبلة والزوال وكتاب الكسوف ، ويقول القفطي في هذا الكتاب الأخير : « تملكتُه بخطه » .

وله في الرياضيات كتاب البحث في حساب الهند ، وكتاب الجبر والمقابلة ، وكتاب نوادر الجبر .

وله في العلوم الدينية تفسير القرآن . قال أبو حيان : « ولقد قيل لي إن له في القرآن كتاباً يبلغ ثلاثة عشر مجلداً ، ما رأيتُه ، وأنه ما سُبق الى ذلك النَّسَط » . وله أيضاً كتاب الوصايا ، وكتاب حساب الدَّوْر ، وهما في التركات وحساب تقسيمها .

أما في اللغة فمصنفات أبي حنيفة كثيرة . ولقد كان معدوداً من أئمة اللغة العربية ، ومن أعرفها بالنحو وبالكلم الفصاح ، وبالأدب من شعر وأخبار . وكان في طبقة أدباء عصره المشهورين كابن قتيبة والمبرد والجاحظ وابن دريد وأشباههم . وله في هذه الموضوعات كتاب الشعر والشعراء ، وكتاب ما يلحن فيه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العامة ، وكتاب الفصاحة ، وكتاب إصلاح المنطق ، وكتاب الجمع والتفريق ، وكتاب جواهر العلم ، لم يرد ذكره إلا في كشف الظنون ، وكتاب الرد على لُغْدَة[1] الأصفهاني .

وصنف في التاريخ كتاب الأخبار الطوال ، وهو الكتاب الوحيد من كتب أبي حنيفة ، الذي عُثر عليه كاملاً ، وطُبع في ليدن سنة ١٨٨٨ م . وعبارته سلسة فصيحة من أروع الأدب الرفيع . وفيه معلومات قيمة ، ولا سيما أخبار الاسكندر والساسانيين وحوادث صفين والخوارج .

وذكر ابن النديم وياقوت والقفطي والبغدادي له كتاباً اسمه كتاب البلدان ، قالوا انه كبير . ولا ادري أهو كتاب تأريخ أم كتاب جغرافيا وأدب على غرار كتاب ياقوت .

وأغرب كتاب له هو كتاب الباه ، هكذا جاء اسمه في بغية الوُعاة ، وفي نزهة الألباء ، وفي معجم الأدباء . ولم يرد له ذكر في الفهرست ، ولا في إنباه الرُّواة . وسماه البغدادي كتاب الباءة . ومن الغريب أن يؤلف في موضوع الباه رجل كأبي حنيفة قال فيه أبو حيان : « ... هذا مع وَرَعه وزهده وجلالة قدره » . فاذا صحت هذه التسمية يكون الطب هو موضوع الكتاب ، على ما جاء في كشف الظنون .

نسخة الجزء الخامس من كتاب النبات : قلت ان هذه النسخة المخطوطة قد عُثر عليها في خزانة جامعة إسطنبول . ويسمونها اليوم (إسطنبول أونيفرسيتەسي) . وهي فيها مرقمة برقم ٤٧١٦ ؛ وتشتمل على ٢٣٧ صحيفة أي ورقة . وفي كل صفحة من صفحتي الورقة ١٥ سطراً . ومعدل ما في كل سطر نحو

(١) هو الحسن بن عبد الله أبو علي الأصفهاني المعروف بلُكْدَة ولُغْدة . ذكر ياقوت في ترجمته انه كان في طبقة أبي حنيفة الدينوري ، وانه كان بينهما مناقضات . « من تحقيق كراتشقوفسكي ص ٣٢ و ٣٣ من المقدمة الملمع اليها » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثماني كلمات . وطول الصفحة ٢٤ سنتيمتراً وعرضها ١٦٫٥ سنتيمتر . أما الصورة التي صورتها الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية فمساحة صفحتها أصغر ، فهي قد جاءت في طول ١٥٫٣ سنتيمتر وعرض ١١ سنتيمترا ، أي أن طول كل ورقة ١٥٫٣ سنتيمتر ، وعرضها ٢٢ سنتيمترا .

وصفحات النسخة الأصلية غير مرقمة . وقد رقّمت الادارة الثقافية أوراق نسختها المصورة فبلغت ٢٣٧ ورقة كما قلت ، وكل من أولاها وأخراها في صفحة واحدة ، فيكون المجموع ٤٧٢ صفحة . وأرقام الأوراق أي الصحائف السبع والثلاثين والمائتين هذه هي التي أشرتُ اليهـا مراراً في عرض كلامي التالي بقولي ص كذا .

والجزء الخامس الذى نتكلم عليه مؤلف من قسمين قسم عنوانه « ومن أنحاء صنعة القُسِيّ » وهو في ٧٣ ورقة ؛ وقسم في أسماء أعيان النبات ، مرتبة على حروف المعجم من الهمزة أي الألف حتى الزاي (ص ٧٣ — ٢٣٧) . وفي الورقة الأولى المؤلفة من صفحة واحدة جاء عنوانُ الجزء كما يلي : « الجزء الخامس من كتاب النبات تأليف ابي حنيفة أحمد بن داود الدينوري رحمه الله . من قوله ومن أنحاء صنعة القسي الى آخر حرف الزاي » .

وعلى هذه الصفحة جمل كتبها الذين تملكوا المخطوطة منها : « من كتب خليل بن أيبك الصفدي » ، وهو العلامة المشهور .

وفي ص ٢٣٧ وهي الأخيرة : « تمّ حرف الزاي ، وبه تم الجزء الخامس ، ويتلوه في السادس ، ان شاء الله ، حرفُ السين . والحمد لله رب العالمين كثيراً ، وصلى الله على رسوله المصطفى وآله وسلم . فَرَغَ من كَتْبه عبد الله بن سالم ابن الخضر بن محمد المارديني غُفِر له ، وذلك سنة خمس وأربعين وستمئة هجرية في ربيعها الآخر حامداً ومصليا » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد نقل الناسخ المذكور هذه النسخة عن نسخة كانت للقاضي ابي سعيد السيرافي مكتوبة بخطه . والواضح ان السيرافي جعل نسخته على أجزاء يزيد عددها على عدد أجزاء كتاب النبات الستة . فالجزء الخامس هذا من الكتاب جاء في نسخة السيرافي على جزءين جزء سابع وجزء ثامن . والأول منهما يشتمل على بحث القُسِيّ (ص ١ — ٧٢) ، والثاني على أسماء أعيان النبات من الألف حتى الزاي (ص ٧٣ — ٢٣٧) . ولذلك تنتهي الورقة ٧٢ بقول الناسخ : «هذا آخر الجزء السابع من أجزاء القاضي أبي سعيد السيرافي رحمه الله ...» .

ثم في أول الورقة ٧٤ يقول :

«الجزء الثامن من أجزاء القاضي أبي سعيد السيرافي رحمه الله ومن خطه نُقِلَتْ» .

والخط في هذه النسخة حسن واضح . والكلمات فيها مشكولة بالشكل الكامل . ثم ان النسخة نفسها قد سلمت من عوادي الأيام ، فلبثت صحائفها محتفظة بروائها ، الا الصحيفة ٢١٤ فقد لُوثت بشيء أشبه مايكون بالحبر ، فانطمست بعض ألفاظها .

ولم أحص أسماء القسم الأول من الجزء ، وهي الأسماء المتعلقة بالقسي والسهام والقداح وما إليها . أما القسم الثاني المحتوي على أسماء أعيان النبات ، وأسماء بعض أجزائه ، فقد أحصيتُ فيه ٤٦٨ اسمًا أولها الأراك وآخرها الزِّيْر وهو من أسماء الكتان .

وصنف أبو حنيفة أعيان النبات ، في القسم الثاني هذا ، على حروف أوائل أسمائها ، لا على حروف أواخرها ؛ ودلل على رجحان هذه الطريقة ، ولكنه لم يراع في التصنيف الا الحرف الأول من كل كلمة . ففي باب ما أول حروفه ألف ، ترى كلمة أراك مثلاً ، وقد أتت قبل كلمة أترُجّ ؛ وترى كلمة أقحُوان قبل كلمة أسَل . وفي باب ما أول حروفه الباء جُعل البطيخ قبل البصل وهكذا .

وعناوين البحوث التي جاءت في القسم الأول من الجزء الخامس هي : ص ٢ـ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

«ومن أنحاء صنعة القِسِيّ» ، ص ٩ «وضرب آخر من نعوت القِسِيّ في حال الرَّمْي عليها» ، ص ١١ وما تُحَلَّى به القوس» ، ص ٣٠ «ومن صفات النَّبْل» ، ص ٣٦ «ومما في القِدْح من أسماء طوائفه» ، ص ٣٩ «ومما يُجعل على القِدْح» ، ص ٤٣ «ومن أسماء السِّهام» .

وسَرْدُ أسماء الأعيان من النبات وتحليتها ، من الألف حتى آخر الزاي ، قد ملأ ١٦٤ ورقة من مجموع الجزء الخامس وهو ٢٣٧ ورقة . وعلى هذا ترجح عندي ان الجزء السادس المفقود يحتوي على جميع بقية الأسماء من السين الى الياء . ولذلك بت أعتقد ان كتاب النبات ينتهي بانتهاء الجزء السادس ، اي ان الكتاب مؤلف من الأجزاء الستة الكبار التي ألمع اليها البغدادي في خزانة الأدب . ومن الأدلة على ذلك قول أبي حنيفة في آخر باب القسي والسهام (ص ٧٢) : «وقد أتينا ، فيما قدمنا من أبواب كتابنا هذا ، على ما استحسنا تقديم ذكره ، قبل ذكر النبات نبتاً نبتاً ، فلم يبق إلا ذكر أعيان النبات . ونحن آخذون في تسميتها ، ومحلو كل واحد منها بما انتهى الينا من صفته أو شاهدناه . وإن كان في شيء من ذلك اختلافٌ ، مما ينبغي أن يُذكر ، ذكرناه ان شاء الله» .

ما هي أبواب كتاب النبات ؟ لقد دلنا الجزء الخامس من الكتاب على مشتملات جزئه السادس والأخير ، وهي كما قلت أسماء أعيان النبات من السين الى الياء . أما مشتملات الأجزاء الأربعة الأولى فما برحت غير معروفة على الضبط . ولا نعرف أيضاً محتوى كل جزء منها على حدة . وقد حاولت أن أستخرج من تضاعيف الجزء الخامس ما أمكنني العثور عليه من أسماء أبواب تلك الأجزاء الأربعة ، فحصل عندي منها أربعة عشر باباً ؛ ذلك بأن أباحنيفة ، عندما يذكر بعض النباتات في الجزء الخامس ، يقول انه وصفها أو فسرها أو أمعن في شرحها في باب كذا وكذا من الأبواب السابقة . وكل هذه الأبواب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

جاءت في الأجزاء الأربعة الأولى . فعندما يذكر الحنطة مثلاً يقول (ص ١٧٣) : « وقد وصفناها وصفاً بليغاً في باب الزرع » . وعندما يتكلم على لفظة البقل في ص ١٢٤ يقول : « وقد فسرنا ذلك في باب تجنيس النبات [1] » وهكذا .

والأبواب الأربعة عشر التي عثرتُ عليها هي : باب النخل ، وباب الكَرْم ، وباب الزرع « وفيه بحث القطانيّ » ، وباب الأصباغ أو باب ما يُصبغ به من النبات أو باب ما يُختضب به ويُصبغ من النبات ، وباب تجنيس النبات ، وباب وصف النبات العام له ، وباب العشب العام له « ولعلهما باب واحد » ، وباب النبات الطيب الريح « وقال مرةً الرائحة بدلاً من الريح » ، وباب اللِّثَاء والصَّمُوغ ، وباب الكَمْأة ، وباب جماعة الشجر « او جماعات الشجر » ، وباب أوصاف الشجر العامة ، وباب الزِّناد والنيران والأدخنة ، وباب النبات الذي يُتخذ منه الحبال والأَرْشية .

وقد نقل ابن سيده الى المخصص عدداً كبيراً من الأسماء الواردة في هذه الأبواب ، وعزاها الى ابي حنيفة .

ولا شك ان في أضعاف الأجزاء الأربعة المفقودة أبواباً أخرى لم يرد ذكرها عرضاً في الجزء الخامس . ففي باب الخمر من المخصص مثلاً ، وهو باب طويل (المخصص ج ١١ ص ٧٢ — ١٠١) كلام كثير منقول عن أبي حنيفة . ولا بد ان يكون ابن سيده قد نقله من أحد الأجزاء الأربعة لكتاب النبات . وكذلك قل في مواضيع المخصص المتعلقة بأشكال الأراضي وبالمياه والوديان والمغارس والمزروعات والحراثة والمراعي والخصب والجدب والكلأ والأنهار والعيون والقُنِيّ وغيرها مما امتلأت بأسمائها صفحات المخصص ولا سيما في جزئه التاسع

(١) يُفهم من تجنيس النبات تصنيفه على حسب قِدَمِه ، أو على حسب استعماله او غير ذلك ، كأن يكون النبات بقلاً أو جَنْبَة او شجرا ، أو ان يكون من الحمض او الحُمُضّة ، او من الأحرار أو الذكور الخ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والعاشر والحادي عشر . فمئات من تلك الأسماء التي عزاها ابن سيده الى أبي حنيفة إنما هي مقتبسة من أبواب الأجزاء الأربعة من كتاب النبات ، لأنه ليس لأبي حنيفة ، على ما نعلم ، كتاب غيره في هذه الموضوعات .

وعزاؤنا عن ضياع معظم أجزاء كتاب النبات كون أصحاب المخصص واللسان والقاموس والتاج قد نقلوا كثيراً من محتوياتها الى معجماتهم ؛ ولكن هيهات ان يكونوا قد نقلوا جميع صفات بعض النباتات ، وجميع الأبيات الشعرية المتصلة بها . فرب نبات ملأ الكلام عليه صفحتين أو أكثر من الجزء الخامس لم يُذكر في المعجمات في أكثر من سطر أو بضعة أسطر . ثم هناك الرواة الذين روى أبو حنيفة عنهم ، وعلماء اللغة الذين نقل عن كتبهم ، والأدباء والشعراء والرُجّاز الذين استشهد بأشعارهم ، فمعظمهم يظلون مجهولين عندما يكتفي أصحاب المعجمات بقولهم « قال أبو حنيفة » .

لغة كتاب النبات : رأيتُ أبا حنيفة يَميز الفصيح من الضعيف ، والعربي من المعرب ، والنبات الذي منابته بلاد العرب من النبات الذي منابته البلاد الأجنبية . ففي مادة الأُتْرُجّ مثلاً (ص ١٠٤) يقول : والنُّرُنْجُ لغة في الأترج رديئة » . وفي مادة أُرُزّ (ص ١٠٨) يقول : « أُرُزّ ، ويقال بالفتح ، والأصمعي يأباه ؛ ورُنْز لغة رديئة » . ثم في مادة رُنْز هذه (ص ٢٢٩) يكرر قوله : « رُنْزُ لغةٌ في الأُرُزّ . ويقولون في الأُتْرُجّ تُرُنْج . وكل هذا قبيح مرغوب عنه » . وفي ماده رَيْهُقان (ص ٢٢٧) قال : « زعم بعض الرواة ان الزَّعْفَران يقال له الرَّيْهُقان ولم أجده معروفا » .

وجعل الخَلَنْج والبطيخ والباذنجان والجوز والجزر والجُل والبَهْرامج والبندق والكُرْكُم وغيرها من أصول فارسية ، ولكنها جرت في كلام العرب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وعندما ذكر الحَبّاقا في ص١٦٨ قال : « لغة حِمْيَرية ؛ وهو الحَنْدَقُوقَى ، وهذه نَبَطية ، وهي في العربية الذُّرَق » .

وفي كلامه على الزعفران ص ٢٣١ قال : « الزعفران معروف ، لا أعرفه ينبت بشيء من أرض العرب . وقد كثر مجيئه في كلامهم وأشعارهم . قال ابو النجم ... وقال آخر ... ومن أسمائه الكُرْكُم وهو فارسي ، وقد جرى في كلامهم ... وهو الجادِيّ والجَساد والجَسَد » .

وقال في البَقَّم[1] ص ١١٣ : « البَقَّم شجر عِظامٌ أحمر يُصْبَغ بطبيخه ، وليس في شجر بلاد العرب ، وإن كان قد كثر مجيئه في أشعارهم ، ولكنه من نبات أرض الهند وأرض الزنج . وقد وصفناه في باب ما يُصبغ به من النبات ... » .

ولم ينس ذكر اختلاف النطق ، او الاختلاف في التذكير والتأنيث لدى مختلف القبائل ، فقال في التَّمْر مثلاً ص ١٢٨ : « وأهل الحجاز يؤنثون التَّمْر وأشباهه ، فيقولون هذه التمر . وأهل نجد وتميم يذكّرونه ، وكذلك البُسْر والشعير والنَّخْل ونحوه » .

واذا لم يسمع بتحلية نبات أقرّ بذلك . ففي مادة الجُذَاة ص ١٥٢ يقول : « ولم أسمع لها بتحلية » .

هذه بعض الأمثلة . ويطول بنا نفس الكلام اذا ما رحنا نتتبع أقواله المفيدة في هذه الأمور . وقد بدت لي ملاحظات على كلمات في صلب اللغة . فراجع كلمة جلبان مثلاً في اللسان والقاموس والتاج والمخصص فانك لا تراها مرسومة الا على شكل

---

(١) اسمه الفرنسي Campêche واسمه العلمي Hæmatoxylon Campechianum وهو شجر من القرنيات الفراشية . وهو غير البُقَّم بباء موحدة مضمومة . وهذا هو جَوْز ماثِل أي Datura metel من الباذنجانيات (عن معجم الألفاظ الزراعية من تأليفي) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

جُلُبَّان وجُلْبان . والمشدَّد في الأولى هي الباء . على حين ان ابا حنيفة ذكر في مادة الخَرْفَسَى ص ١٩٧ ان الحرف المشدد هو اللام لا الباء ، خلافاً لما رسموه . قال : « الخَرْفَسَى معرب وأصله فارسي ، من القَطانيّ ، وهو الحب الذي يُسمى الجُلُبَّانَ ، اللام مُشَدَّدة وربما خُفِّفت ، ولم أسمعها من الفصحاء الا مُشَدَّدة . واسمه بالفارسية الخُلُّر والخَرفَسَى » . ولم يصرح أبو حنيفة في مادة جلبان نفسها بحرفها المشدد . بل اكتفى بقوله : « ولم أسمعه الا بالتشديد ، وما أكثر من يخففه ، ولعل التخفيف لغة » . وربما كان تشديد الباء لغة ذكرها غير أبي حنيفة من القدماء وهو ما أجهله ، ولكن مما لا ريب فيه ان الحرف المشدد عند ابي حنيفة هو اللام لا الباء ، على ما جاء صريحاً في مادة خَرْفَسَى . وصرح الزبيدي ، في كلامه على المادة المذكورة في التاج ، بأن الخرفى الجلبان بتشديد اللام ؛ ومع هذا لم يشدد الا الباء في شرحه لمادة جلبان نفسها .

وراجع في اللسان كلمة أقحوان (مادة قحا) تجد ابن منظور يقول : « . . . وقد حُكِي قُحْوانٌ ، ولم يُرَ الا في شعر ، ولعله على الضرورة » . أما أبو حنيفة فلم يقصر صحة القُحْوان على الشعر أو على الضرورة بل قال ص ٩٦ : « وقال الفَرّاء اذا ألحقوا الألف واللام قالوا الأُقْحُوان والقُحْوان وأنشد :

خَضِراً يُشَبِّه بَرْدُهُ وبياضُه بالثَّلْج أو بِنابت القُحْوانِ » .

وواضح أن البيت للاستشهاد لا لقصر استعمال القحوان على الشعر . ونحن في الشام ، ولا سيما في لبنان وجبل الشيخ ، ما برحنا الى اليوم نستعمل كلمة القحوان ونطلقها على نوع من البهار اسمه العلمي Anthemis cotula [1] .

(١) كانت العرب تطلق الأقحوان على أنواع نباتية من جنس البهار Anthemis منها البابونج A. nobilis ، وعلى انواع من جنس Chrysanthemum وهو الجنس الذي له انواع وأصناف كثيرة تزرع لزهرها وتسمى الأراولة في مصر وزهرة الغريب في دمشق . وقد اطلقت في معجمي اسم الاقحوان على هذا الجنس تعميماً فسرى ، وصارت الجمعية الملكية الزراعية في مصر مثلاً تسمي معرض هذه الأزهار « معرض الأقاحي » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويتضح من ذلك ان هنالك مجالاً واسعاً للبحث عن صحة كثير من الألفاظ التي وردت على شكل ما في الجزء الخامس من كتاب النبات ثم وردت في الأمهات من المعجمات على شكل آخر . ومن المعلوم ان كتاب النبات هو المرجع والحجة في ألفاظه . ولم يطعن أحد في صحة تلك الألفاظ ، الا علي بن حمزة البصري ، فان له كتاباً اسمه التنبيهات على أغلاط الرواة « أو أغاليط الرواة » ، قال البغدادي في ص ٣٦ من الطبعة السلفية ، انه ذكر فيه أغلاط نوادر أبي زياد الكلابي ، وأغلاط نوادر أبي عمرو الشيباني ، وأغلاط النبات لأبي حنيفة الدينوري ، وأغلاط الغريب المصنف لأبي عبيد ، وأغلاط إصلاح المنطق لابن السكيت ، وأغلاط الجمهرة لابن دريد ، وأغلاط المجاز لابي عبيد ، وأغلاط الفصيح لثعلب ، وأغلاط الكامل للمبرد وغير ذلك . قلت يلوح لي ان كتاباً يتناول بالنقد ألفاظاً لجميع هؤلاء الأئمة ، لا يصيب كتاب النبات منه الا رشاش ضئيل ، وسيظل كتاب النبات أهم مصدر للأسماء النباتية الصحيحة .

تحلية النبات وذكر الأصناف الزراعية : ليس كتاب النبات في الحقيقة كتاباً في علم النبات ، ولا في زراعة النبات ، بل هو سفر في لغة هذا الفرع من المواليد ، أي في أسماء أعيان النبات ، وفي الألفاظ التي لها صلة بالنبات ، مع تحقيق صحة الصحيح منها ، والاستشهاد على صحته بما كتبه أئمة اللغة ونحول الشعراء قبل أبي حنيفة ، وبما سمعه أبو حنيفة من أفواه الموثوق بكلامهم من معاصريه ، ولا سيما الأعراب . فاللغة إذن هي الأساس في هذا الكتاب ، ولكن ليست جميع النباتات مشهورة ، ولذلك رأينا أبا حنيفة يحلي بعضها تحلية حسنة . ورأيناه يذكر أصناف بعض النباتات الزراعية ويحليها أيضاً . ومن الطبيعي القول بأن هذه التحلية بسيطة لا تتجاوز بعض الصفات الخارجية للنبات . ومع هذا فهي ليست بالشيء القليل ، ولا سيما في تلك الأيام البعيدة . فهو يصف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الرُّقَعَ مثلاً بما يلي ص ٢٢٩ : « رُقَعٌ الواحدة رُقَعة . أخبرني أعرابي من أهل السَّراة قال : الرقعة شجرة عظيمة كالجَوْزة ، ساقها كساق الدُّلْبة ، ولها ورق كورق القَرْع ، أخضر فيه صهبة يسيرة ، ولها ثمر أمثال التين العظام ، كأنه صغار الرُّمَّان ، لا ينبت في أضعاف الورق كما ينبت التين ، ولكن من الخشب اليابس يَتَصَدَّع عنه ؛ وله معاليق وحَمْل كثير جداً الخ » .

ويصف بعض أصناف العنب مما كان معروفاً في تلك الأيام فيقول مثلاً ص ١٠٨ : « أصابع العذارى : صنف من العنب أسود طوال كأنه البَلَّوط ، يُشَبَّه بأصابع العذارى المخضبة ، وعنقوده نحو الذراع ، مُتداحِس الحب ، وله زبيب جيد ، ومنابته السراة . وقد وصفناه في باب الكرم » .

والإقْماعِيّ صنف آخر من العنب حَلاَّه بقوله ص ١٠٨ : « إقْماعِيّ : وكذلك الأقماعي نوع من العنب عليه معوَّل الناس ، وعنبه أبيض ، ثم يصفرّ أخيراً حتى يكون كالوَرْس ، وحبه مدحرجٌ كبارٌ ، وعناقيده مكتنزة ، ومؤه كثير ، ويُعتصر ويُزَبَّب أيضاً . وقد ذكرناه » .

ومما حلاه عدد من أصناف التين . وروى هذه التحلية عن رجل من أعراب السَّراة وهم ، على ما قال أبو حنيفة ، أهلُ تينٍ . والأصناف المذكورة كالجِلْداميّ والقِلاَّرِيّ والطَّيَّار الخ . سردها ابن سيده في المخصص صنفاً صنفاً على الترتيب نفسه ، ولكنه أوجز في التحلية ، ولم يقل انه نقلها عن أبي حنيفة ، خلافاً لمألوف عادته (المخصص ج ١١ ص ١٣٧ و ١٣٨) .

ويتضح من هذه الأمثلة ان أبا حنيفة بذل جهده في التعريف ببعض أنواع النبات وببعض الأصناف الزراعية التي كانت تزرع في أيامه ، وكل ذلك بلغة غاية في البلاغة . ولا شك أن الأعراب في ذلك الزمن كانوا دقيقي الملاحظة ، وصّافين لما يحيط بهم من أحياء وجمادات . ولذلك جاءت تحليتهم لبعض النباتات سائغة حتى في عصرنا هذا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأدب في كتاب النبات : من المعروف أن أبيات القدامى من الشعراء كانت تُعد من الحجج التي يَستشهد بها علماء اللغة على صحة لفظ من الألفاظ . وكتاب النبات آية في هـذا الباب . فالأبيات الشعرية التي ورد ذكرها في الجزء الخامس كثيرة جداً . واذا كانت قد وردت على هذه النسبة في بقية الأجزاء يكون في الإمكان أن يؤلَّف منها ومن شرحها سفر عظيم في أدب النبات وما اليه . وجميع تلك الأبيات الشعرية من نظم شعراء الجاهلية وصدر الاسلام . وها كم بعض الأمثلة على ورود الشعر في معرض الكلام على النبات :

ففي الكلام على الأُقحُوان ص ٩٥ يقول: « الأقحوان ، والواحدة أُقحوانة ، والجميع الأَقاحِيُّ بالتشديد ، والأَقاحِيْ بالتخفيف ، قال ذو الرُّمَّة في التشديد ، ووَصَفَ نساءً :

تَبَسَّمْنَ عن نَوْر الاقاحِيِّ في الثَّرَى
وفَتَّرْنَ من أَبْصار مَضْرُوجةٍ نُجْلِ

وقال أيضاً في التخفيف :

تَبَسَّمَ لَمْحُ البَرْق عن مُتَوَضِّحٍ
كنَوْر الأَقاحِيْ شافَ ألوانَه القَطْرُ

وقال ابن لأْيٍ : بين أَقاحٍ وخُزامَى وخَضِر » .

ثم نقل بعد هذا كلام الفراء في القُحْوان وهو ما سبق لي ذكره الخ .

ولا يُظنَنَّ انه اقتصر ، في ذكر الشواهد الشعرية ، على النباتات المعروفة التي لها زهر أو ثمر جميل . فثمة نباتات عديدة بُرية لا يخطر ببال أحد أنه يقال في مثلها شعر ، ومع هذا فهو قد روى للشعراء فيها أبياتاً من الصعب العثور عليها في كتب الأدب القديمة المطبوعة ، أو البحث عنها هنا وهناك في ما لم يضع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من دواوين القدماء من شعرائنا . وربما كانت كتب اللغة والأدب المعروفة قد خلت من كثير من تلك الأبيات .

فالنبات المسمى البَلَسْكاء مثلاً هو الذي نسميه بالعامية « دُبَيْقة » ، وفصيحه القُصَيْقَى ، وهو مضر ينبت عرضاً في الحقول وحواليها ، واسمه العلمي Galium aparine من فصيلة الفُوّيّات . وأشهر ما فيه ثماره ، فهن صغار كروية عليها أبَيرات معقوفة . فاذا مست ثوب الانسان انفصلت عن النبات ولصقت بالثوب . فأبو حنيفة قال في البلسكاء ص ١٢٣ : « ذكر بعض الرواة أنه نبات يتعلق بالثوب فلا يكاد يفارقه وأنشد :

تُخَبِّرنا بأنكَ أحْوَذِيٌّ وأنت البَلَسْكاء بنا لُصُوقا » .

قلت من معاني الأحوذي السريع في السير وفي كل ما أخذ فيه وأصله في السَفَر . فالذين يعرفون البلسكاء في البساتين والحقول يدركون على الفور مقدار ما في هذا البيت من سخرية . وفي اللسان أن هذا البيت للعَمَيْثَل . وفيه يُخَبِّرنا بدلاً من تخبرنا .

والبَرْدِيّ نبات مائي مشهور اسمه العلمي Gyperus papyrus وكان له شأن ولا سيما لدى المصريين الأقدمين . وهو نباتياً عشبة كالموز لا شجرة . ولكن ساقه الهشة العريانة تبلغ ثخن الذراع ، وتعلو مترين أو أكثر ، وفيها شحمة أي لب كانوا يأكلونه أو يصنعون منه فتائل للسُرُج والمشاعل . ويظهر ان شعراءنا القدماء كانوا يعجبون بسُوق البَرْدِيّ ، وانهم كانوا يشبهون بها سيقان الحسان من النساء ، ولذلك بعد أن يصف ابو حنيفة البردي وصفاً حسناً (ص ١١٢ و ١١٣) يقول : ان ساق البردية هي كأحسن ما شُبهت به سوق النساء ، ثم يأتي على ذكر ستة أبيات من الشعر لستة شعراء ، وكلها في هذا المعنى . وأولها لابن ميّادة وهو :

وساقانِ كالبَرْدِيَّتَيْنِ غَذَاهما
بِوَادِي القُرَى نَهْرٌ تَدِبُّ جَداوِلُهْ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وليست كل الشواهد الشعرية المتصلة بشتى النباتات مما يُدرج في باب الغزل . ففي تضاعيف الكتاب أبيات يمكن إدراجها في جميع أبواب القريض . ولكن الوصف هو السائد ، لأن في حياة القبائل في الجزيرة مجالاً لذكر النبات في أغراض كثيرة وصفاً وتشبيها .

مراجع الكتاب : لم يأت ابو حنيفة الدينوري بكلمات من عنده ، اي انه لم يضع اسماً لنبات ولا لجزء من نبات . ومعظم الأسماء والأفعال التي أثبتها في كتابه ، سواء أكانت عربية أم معربة أم مشتقة ، قد عزاها الى من سبقوه من علماء اللغة ، أو الى الذين وثق بكلامهم من الأعراب ، او الى الشعراء الذين ذكروا تلكم الكلم في شعرهم ، وصح عنده الاستشهاد بها . ولكنه في كل ذلك يبرز شخصيته القوية فيرجّح الراجح ، ويقبّح القبيح ، ويسقط المرذول من الكلام .

فهو يقول مثلاً : قال الأصمعي ، وقال أبو عبيدة ، وأخبرني أعرابي من رَبيعة أو من عَنَزة أو من بني أسَد أو من أهل السَّرَاة أو من أعراب عُمَان ، وقال بعض علماء الأعراب ، وسمعت بعضَ اليمانية يقول وهلم جرا .

وها كم ثلاثة أمثلة :

الأول في الكلام على الجِرْجِير ص ١٥٠ قال : « ... وقال الفَرّاء تُخَفَّف جرجير فيقال جِرْجِر . ويقال لها الكَشْأة . وسمعتها من الأعراب غير مهموزة » .

والثاني في الكلام على الدُّجْر ص ٢١٠ : « الدُّجْر اللُّوبياء — وبعضهم يقول الدَّجْر — والواحدة دُجْرة . وزعم بعض الرواة انه يقال له الثامِر ، ولم أر ذلك معروفاً . وقال أبو زياد هو اللُّوْباء ، وقال كذا تكلم به العرب ... »

والثالث في الكلام على الرَّنْد ص ٢١٨ : « يذهب قوم الى أنه الآس وأنكر أبو عبيدة ذلك وقال ... » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويتضح من ذلك ان طريقته هذه لا تختلف عما كان متبعاً في ذلك الزمن ، ولا عما اتبعه أصحاب المعاجم من بعده وذكروا اسمه كثيراً في أسانيدهم .

وعلماء اللغة الذين نقل أبو حنيفة عنهم كثيرو العدد منهم الأصمعي وأبو عبيدة وابن الأعرابي وأبو زيد والكسائي والفرّاء وأبو نصر واليزيدي واللحياني وأبو زياد الأعرابي وغيرهم . وقد أكثرَ النقلَ عن أبي زياد ، وذكر اسمه ونسبه عند ذكره لأول نبات من النباتات التي رتب اسماءها على حروف المعجم وهو الأراك (ص ٧٥) فقال : « ... قال أبو زيادٍ الأعرابي يزيدُ بن عبد الله الكلابي أحد بني عبدِ الله بن كِلاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة : الأراكُ من العِضاه .. الخ » »

أما الشعراء والرُّجّاز الذين استشهد بشعرهم فهم كُثُر ، منهم لَبيد والأعشى وامرؤ القيس وعَدِيّ بن زيد وطَرَفة والنابغة الذبياني والأخطل والراعي وجرير والفرزدق والمُرَقِّش وذو الرمة وعنترة وأوس بن حَجَر وعَلْقَمة بن عَبْدة والطِرِمّاح وابو النجم والعَجّاج وحَسّان وكعب بن زُهَير وابن مَيّادة وأُحَيْحة بن الجُلاح وقيس بن الخَطِيم وعمرو بن كلثوم وكُثَيِّر وابن هرمة والشَمّاخ والجَعْدي والحُطَيْئة والنَمِر بن تَوْلَب الخ .

الخلاصة : لقد عاش أبو حنيفة الدينوري ، رحمه الله وطيَّب ثراه ، في العصر الذي ضُبطت فيه اللغة العربية ، وازدهرت آدابها ، ونُقلت اليها علوم الأقدمين ورُسِّمت وصُبَّت في ثقافة عربية كانت في تلك الأيام أشمل الثقافات وأوسعها في العالم كله . ولا شك أنه كان من أبرز العلماء الذين بنوا ذلك الصرح اللغوي والعلمي الشامخ الذرى .

وهو لم يكن في علم النبات من طبقة ابن الصوري وابن البيطار مثلاً ، ولكنه كان متفوقاً عليهما وعلى غيرهما من المتقدمين والمتأخرين بمعرفة أسماء أعيان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

النبات ، وأسماء أجزائها المختلفة ، وأسماء ما له صلة بها ، مع تمييز بين الفصيح والمولّد ، والعربي والمعرّب ؛ يضاف الى ذلك دقةٌ وأمانة في النقل عمن سبقوه ، وفي الأخذ عن الأعراب ، سواء في تسمية النبات ام في تحليته .

والرجل الذي استطاع أن يصنف في مختلف علوم عصره ، بذلك البيان المشرق ، والذي أجمع أصحاب كتب التراجم على جعله صادقاً وثقة فيما يرويه ويحكيه ، لخليق بالنعت الذي نعته به صديقي الزركلي صاحب قاموس الأعلام مذ قال فيه انه نابغة من نوابغ الدهر .

ولقد كنتُ مزمعاً على تحقيق الجزء الخامس من كتاب النبات ونشره ، على أن أذكر الأسماء العلمية لمعظم ما حواه من أعيان النبات ، وان أذكر أيضاً بالفرنسية ترجمة عدد من أسماء أجزاء النبات ، وأن أشرح علمياً ما يحتاج الى شرح ؛ ولكنه اتصل بي ان لجنة التأليف والترجمة والنشر في القطر المصري الشقيق قد اتفقت هي والدكتور محمد حميد الله الهندي على تحقيقه ونشره ؛ ولذلك أحجمتُ لكي لا يتكرر العمل دونما فائدة .

وباليت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، التي يرجع اليها الفضل في العثور على هذا الجزء من الكتاب ، تفتش في كل مكان عن بقية أجزائه المفقودة ، فانه يتيسر لها من وسائل البحث والتنقير ما لا يتيسر لكثير من الأفراد والجماعات .

مصطفى الشهابي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net